النقيض لما ذكرته. فقد حظيت اعمال المدافعين عن الشعبين الفلسطيني واللبناني بتغطية واسعة من قبل وسائل الاعلام السوفياتية وبالكثير الكثير من أعمال التضامن المختلفة الاخرى. وابرزت وسائل الاعلام، كذلك، الوحشية الاسرائيلية التي اثارت استنكاراً واسعاً في صفوف الرأي العام السوفياتي. ومنذ الايام الاولى للغزو الاسرائيلي اتخذ الاتحاد السوفياتي جملة من المواقف التي لا يمكن وصفها، بأي حال، «باللامبالاة».

ولا يتسع المجال هنا لعرض وافٍ لمواقف الاتحاد السوفياتي تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان اثناء ١٩٨٢، لكننا سنحاول التذكير بأهم المواقف السوفياتية هذه. ففي ١٩٨٢/٦/٧، اصدر الاتحاد السوفياتي بياناً اذاعته وكالة «تاس» دان فيه، بشدة، العدوان الاسرائيلي ودعا إلى «وقف فوري التدخل المسلح في لبنان والى انسحاب قوات تل ابيب من الأراضي اللبنانية». واضاف البيان: «يرى الاتحاد السوفياتي ان هذه العمليات العسكرية قد شنت بموافقة واشنطن ومساندتها». كما اكد وزير الخارجية السوفياتية، اندريه غروميكو، في اثناء لقائه برئيس الدائرة السياسية في م ت ف، في موسكو، في ١٩٨٢/٦/٩، «ثبات الدعم الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي للنضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني»[١٩].

ووجه الاتحاد السوفياتي انذاراً شديد اللهجة إلى اسرائيل بتاريخ ١٩٨٢/٦/١٤ بضرورة الانسحاب الفوري من لبنان. وحذر من ان اعمالها تهدد المصالح السوفياتية. واكد الانذار ان «الاتحاد السوفياتي يقف، فعلاً وليس بالاقوال، إلى جانب العرب»[٢٠].

وبتاريخ ١٩٨٢/٧/٨، وجه الزعيم السوفياتي ليونيد بروجينيف تحذيراً إلى الرئيس الاميركي رونالد ريغان، في رسالة رسمية، جاءت فيها مطالبته الحازمة بأن تفعل الولايات المتحدة كل شيء يتعلق بها الوضع حد للعدوان الاسرائيلي، وفي عدم استخدام اعمالها واعمال موفدها إلى الشرق الأوسط (السفير فيليب حبيب) واجهة للعدوان الاسرائيلي المستمر وللقضاء على الشعب العربي الفلسطيني. كما حذر الولايات المتحدة من ارسال قوات إلى لبنان[٢١].

وفي حديث لصحيفة «البرافدا» السوفياتية، وصف الرئيس السوفياتي ليونيد بروجينيف اعمال اسرائيل، في اثناء الغزو، بانها «ابادة». وقال ان تحدي اسرائيل للمجتمع الدولي هو بسبب دعم الولايات المتحدة لها، وابدى اعجابه واعجاب الشعب السوفياتي «ببسالة الفلسطينيين» و «صلابتهم». واكد ان الاتحاد السوفياتي «قدم، ويقدم، الدعم والمساعدة الى اولئك الذين لا يطأطئون رؤوسهم امام المعتدي»[٢٢].

واقام السوفيات جسراً جوياً دعم سوريا لاقل الأسلحة والمساعدات الاخرى الى السوريين والفلسطينيين واللبنانيين، وبدأوا، في اثناء القتال، باعادة تسليح وتدريب الجيش السوري وبتعويض خسائره وبامداده بأسلحة متقدمة وبارسال مئات الخبراء العسكريين لرفع قدراته القتالية. والهدف السوفياتي، المعلن والحقيقي، من هذا الدعم وما سبقه وما تلاه هو تعزيز القدرات العسكرية العربية للتصدي للعدوان الاسرائيلي. والاتحاد السوفياتي، بتقديمه التسليح والتدريب والدعم السياسي والمعنوي لـ م ت ف، وكل من يرفع شعار التصدي للعدوان، انما يساهم بقسط كبير من مستلزمات الصمود ولا يمكن تحميله مسؤولية تقصير هذا الطرف او ذاك، وهو لم يقل بأنه على استعداد للقتال بدلاً من اصحاب القضية او انه يعتبر الغزو الاسرائيلي للبنان نهاية الصراع او غير قابل للدحر. وقد اثبتت احداث العامين التاليين فعالية الدعم السوفياتي في دحر العدوان.

وقد يجادل البعض، وربما يكون هذا مفهوماً لدرجة ما، بأن الثورة الفلسطينية التي كانت تخوض واحدة من اهم معاركها، وربما الأهم، كانت تتوقع، او تأمل بأن يكون مستوى الدعم السوفياتي اعلى مما كان. لكن قبل الاسترسال في مثل هذا التفكير، من الاجدى ان نأخذ في الاعتبار ظروف الصراع وحدوده وكذلك تطوراته الممكنة لاحقاً قبل ان نقرر حجم ونوعية الدعم المطلوب من الحليف ان يقدمه. إن الصدق والوضوح المتناهية التي ميزت العدوان الاسرائيلي كانت ناتجة عن مجموعة من العوامل هي التفوق